سلسلة تفريغات

فضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

(حفظه الله تعالى)

الدورة التأصيلية في علم العقيدة

المستوى الثاني

كتاب التوحيد

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

رابط قناة الدورة في التليجرام

رابط الموقع الرسمي

ملحوظة: الشيخ لم يطلع على التفريغ

لأي ملاحظة يرجى مراسلتنا على البريد الإلكتروني

Drabosalahm1@gmail.com

http://www.drabosalahm.com

@DrAboSalahM

الرجال +965 50110130
النساء +965 97537184

شرح كتاب التوحيد- المجلس الرَّابع عشر

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه ومَن سار على نَهْجه واقتَفَى أثره إلى يوم الدِّين. وبعد...

فهذا هو المجلس الرابع عشر من مجالس هذه الدورة التأصيليَّة المباركة الأُولَى في علم العقيدة، وهو المجلس الرابع عشر أظن قراءتنا لكتاب **[التوحيد]**، ونحن في مساء السبت العشرون من شهر الله رجب عام ١٤٤٤ من هجرة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كُنَّا قد وقفنا في كتاب **[التوحيد]** على قول المصنِّف: **(بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ)**؛ فنبدأ على بركة الله، ونسأله -سُبْحَانَهُ- أن يرزُقنا وإيَّاكم العلم النافع والعمل الصالح.

نبدأ بالباب الخامس والثلاثِين.

المتن:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.

اللهمَّ اغفر لنا ولشيخنا وللحاضِرين والمسلمِين أجمعِين.

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بَابٌ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [سورة الكهف، من الآية:١١٠]. الْآيَة.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «**قَالَ تَعَالَى: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟**» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ؛ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهَ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ.

الشرح:

هذا الباب ذَكَرَ فيه المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما ورَدَ فيه ممَّا يتعلَّق بالرياء، ومناسبة إيراده في كتاب [**التوحيد**]: أنَّ التوحيد المطلوب هو التوحيد الخالص، وهو الذي يكون خَلُصَ صاحبه من صَرْف العبادة لغير الله؛ فصار بذلك موحِّدًا، ولا بد له من أن يُحقِّق هذا التوحيد، ومن أسباب تحقيقه للتوحيد: البُعد عن الرياء.

❋ ما معنى الرياء؟

الرياء: بألفٍ وهمزة من (رَاءَى الرجُل، يُرائِي، رياءً)؛ إذًا... مصدر (**الرِّيَاءُ**)؛ مصدر من (رَاءَى) بمعنى: عَمِلَ عملًا أراد أن يُرِيَ غيره هذا العمل. هذا في اللغة.

وأمَّا في الشَّرع: فعرَّفه الشارع بتعريفٍ مُغايرٍ عن الشِّرْك؛ فدلَّ على أنَّه ليس كالشِّرْك الأكبر؛ لماذا ليس الرياء كالشِّرْك الأكبر؟ من وجهَيْن:

- **الأول**: أنَّ الشِّرْك الأكبر فيه صَرْف العبادة لغير الله تعالى، والمُرائِي لم يصرف العبادة لغير الله تعالى.
- **والوجه الثاني**: أنَّ المُشرِك لا يُبالي بالتوحيد؛ بينما المُرائي يهمُّه التوحيد.

وعرَّف الشارع الرياء: بأنَّه تزيين العبادة لأجل الناس، تزيين الطاعة لأجل الناس. ما الفَرْق الآن في التعريف الشرعي بين الرياء والشِّرْك؟

صَرْف العبادة، صَرْف الطاعة لغير الله؛ هذا الرياء أيش؟ تزيين الطاعة لغير الله.

إذًا... هو قام يُصلِّي لله؛ لكن أطال فيه لأجل فلان.

قام يقرأ القرآن لله، فزيَّن صوته لا لأجل أن يخشع الناس؛ وإنَّما لأجل أن يُثنوا على صوته.

صام لله عَزَّوَجَلَّ، وأراد أن يعلَم الناس بصومه؛ فدخَلَ في الرياء.

وهذه قضية مهمة لا بد من التنبُّه لها! الرياء ليس فيه صَرْف العبادة لغير الله.

ولذلك لمَّا تقول: فلان ما صلَّى إلَّا علشان الناس.

لاحظ الآن! صلَّى لله، صلَّى لغير الله، صلَّى علشان الناس؛ في فَرْق بين هذه المسائل الثلاث:

- **صلَّى لله**: توحيد.
- **صلَّى لغير الله**: شِرْك.

- **صلَّى لأجل الناس**: هذا هو الرياء.

صَرْف العبادة لغير الله: شِرْك.

تزيين العبادة لغير الله: رياء.

أنت تتوضَّأ، فإذا علِمْتَ أنَّ الناس ينظرون إليك أسبغْتَ.

ولهذا يقول العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: ما هي علامات الرياء؟

الرياء ينبغِي أن يخاف منه طلبة العلم والعُبَّاد لأنَّه بابٌ من أبواب الشيطان عليهم، الشيطان ما يروح يرائي في الفُسَّاق والفُجَّار، ما يدخل عليهم الرياء، خالصِين منهم؛ بل يأتي إلى العُبَّاد والعلماء فيُدخل عليهم الرياء، باب خطير.

لا بد أن نعرف ما هي العلامات؟

✸ **أولًا: ورَدَ عن السلف أنَّهم قالوا: لا يَأمَن الرياء إلَّا منافق.**

إذًا:

من علامات المُخلصِين: أنَّهم يخافُون من الرياء.

من علامات المُرائِين: أنَّهم لا يخافُون من الرياء.

من علامات المنافقِين: أنَّهم لا يخافُون من الرياء.

لأنَّ النفس البشريَّة مهما كانت فإنَّ فيها شيئًا من حظ النفس وحظ الغير؛ ولذلك التخلُّص من هذا صعب.

✸ **من علامات الرياء: الزيادة في العبادة على العادة.** اكتبها يا أبو صالح!

يعني: أنت من عادتك أنَّك توتر بثلاث ركعات؛ لكن علشان فلان يطالعك أوترْتَ بسبع. دخلتَ في الرياء؛ زِدتَ في العبادة على العادة اللي عندك. صح ولَّا لا؟

مثالٌ آخر: رأيتُ أحد مشايخي وهو يصلِّي الراتبة خفيفةً حتى إنِّي أحيانًا أقول: أصلَّى الفاتحة أو لا؟ وتعرف إنسانًا يكون ملازم لأحد العلماء يمكن يصبر يوم يومين ثلاثة، في الأخير يقول له شيء يعني، علَّه قد يستفسِر ولَّا لا؟ فسألته يومًا وقلتُ: يا شيخنا، أنت قُدوة وتُصلِّي النافلة خفيفةً، لا سيَّما نافلة ركعتين بعد صلاة المغرب. لأنَّ هو كان يسوِّي الدرس بعد المغرب.

فقال: أصلِّيها خفيفة أحسن؛ علشان لو آجي البيت ما راح يكون أخفّ من هذا عندِي، إن زدتُ بيني وبين الله، إن أبقَيْته على العادة ما دخلت؛ أمَّا أنِّي أطِيل أمام الناس وآجي البيت أصلِّيها خفيفة فأخاف. فهذا درس.

من عادتك أنَّك أنت -مثلًا- تصوم الاثنين والخميس، ثم رأيتَ إنسان معك في العمل قال: نصوم الأيام البِيض. فلم تنوِ بذلك منافسته على الخير؛ وإنَّما نوَيْتَ مجاراته. دخلْتَ في الرياء.

إذًا... الزيادة على العادة في العبادة نوعٌ وعلامةٌ من علامات الرياء.

✸ **العلامة الثالثة من علامات الرياء: تَرْك العمل خوف الناس، تَرْك العبادة خوف الناس. من علامات الرياء.**

يعني خُلاصة القول: خلِّك على عادتك في عبادتك، لا تزِدْ ولا تنقُص، ما لك شغل بالناس كأنَّهم غير موجودِين؛ لماذا؟ لأنَّك تتعامَل مع الله؛ فلا تترُك العبادة لأجلهم.

مثلًا: من عادتك أنَّك تجلس بعد صلاة الجُمعة إلى المغرب في المسجد تدعو الله عَزَّوَجَلَّ، والعادة أنَّ المسجد ما فيه أحد فأنت تدعُو وتَذكُر وتبكِي، يوم من الأيام دخل رجُل؛ فما يصير تترُك الدعاء والذِّكْر وقراءة القرآن لأجل أنَّ فلان جاي يطالعك، ما لك شغل، كأنَّه غير موجود.

هذه علامات الرياء.

إذًا... تَرْك الرياء تحقيقٌ للتوحيد -انتبهوا-، والوقوع في الرياء وقوعٌ في نوعٍ من الشِّرْك.

طيب... هل الرياء شِرْك أكبر أو شِرْك أصغر؟ على التعريف الذي ذكَرْناه ما هو الرياء؟

طالب: .....

إذًا... ما يدخُل في الشِّرْك الأكبر.

فإن قال قائل: ففلانٌ ما صلَّى لله أصلًا، يعني: ما كبَّر يريد القُرب إلى الله؛ ليش كبَّر؟ والله لأنَّه كان قدَّام الأمير والأمير صلَّى؛ فصلَّى مع الأمير. هل هذا شِرْك أكبر أو أصغر؟

نقول: هو ونيَّته:

إن كان كبَّرَ ونوَى التقرُّب إلى الله لأجل الأمير: فهو رياء وليس شِركًا أكبر.

إن صلَّى وليس في قلبه التقرُّب إلى الله وإنَّما التقرُّب إلى الأمير أو المَلِك: وَقَعَ في الشِّرْك الأكبر؛ لماذا؟ لأنَّه صَرَفَ العبادة لغير الله جَلَّ وَعَلَا.

وبهذا نكون قد أحطنا ببعض مُتعلَّقات ما يتعلَّق بمسائل الرياء.

أورَدَ المصنِّف تحت هذا الباب آيةً وحديثَيْن:

أمَّا الآية: فقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [سورة الكهف، من الآية:١١٠]؛ ما وجه إيراد هذه الآية لهذا الباب؟ وجه الإيراد من عِدَّة أوجُه:

- **الوجه الأول:** أنَّ كلَّ مَن سِوَى الله فهو مخلوق؛ فكيف يُزيِّن الإنسان عبادته لبشرٍ أو مخلوقٍ مثله ويترُك نظر ربِّ العالَمِين؟! ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.
- **والوجه الثاني:** أنَّ الآية فيها التنصيص ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾؛ فالعبادة لله، ويجب أن تُزيِّنها لله لا لأجل الناس.
- **والوجه الثالث** –وهو المراد–: تكملة الآية ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [سورة الكهف، من الآية:١١٠]؛ **العمل الصالح:** هو العمل الذي وُجِدَتْ فيه الشروط والأركان، وانتفَتْ منه الموانع: الشروط والأركان المنصوص عليها في الكتاب والسُّنَّة؛ شروط الصلاة، أركان الصلاة.

وانتفَتْ عنه الموانع، من الموانع: الرياء؛ فالرياء مانعٌ من موانع قَبول العمل ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾.

ولهذا قِيل لفُضَيْل بن عِياض: ما العمل الصالح؟ قال: أصوبُه.

قال: ما أصوبه؟ قال: ما كان على السُّنَّة.

ومعلوم أنَّ العمل الذي كان على السُّنَّة ليس فيه رياء؛ إنَّما الرياء العمل الذي يكون لأجل الناس.

➢ وقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾؛ **هذا الوجه الرابع**: أنَّه قال: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ﴾؛ ما قال: «ولا يُشرِك في عبادة ربِّه»؛ شو الفَرْق بينهم؟

لو قال: «ولا يُشرِك فِي عبادة ربِّه أحدًا»؛ فهِمْنا الشِّرْك الأكبر.

لكن لمَّا قال (بـ): ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾؛ شَمِلَ الشِّرْك الأكبر والأصغر، شَمِلَ الشِّرْك وشَمِلَ الرياء.

أي بمعنى: لا تجعل شريكًا بعبادتك غير الله، ولا تجعل شريكًا بعبادتك في تزيينها لغير الله.

وأمَّا حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم ففيه التنصيص؛ قال الله تعالى: («**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ)؛ فسمَّى الربُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الرياء شِرْكًا (**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي**).

(**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً**):

- يدخُل فيه صَرْف العبادة لغير الله.
- ويدخُل فيه تزيين العبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ.

(مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي):

الأول: وهو صَرْف العبادة لغير الله شِرْكٌ ظاهر.

والثاني: تزيين العبادة لغير الله عمل العبادة صار فيه حظٌّ لغير الله.

ولهذا قال: **(تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)**.

وأورد حديث أبي سعيد، ودلالته على المراد جلِيَّة؛ قال: **(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟)**؛ قد يقول قائل: أنَّ هذا الحديث الذي رواه أحمد بسندٍ صحيح مُعارِض لِمَا جاء في الصحيح أنَّه ما تَرَكَ فِتنةً أضرُّ على الأُمَّة من المسيح الدجَّال.

الجواب: ليس هناك مُعارَضة؛ لأنَّ المقصود «**مَا تَرَكْتُ فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى أُمَّتِي مِنْ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»؛ المقصود: الفِتَن العامة.

وقوله: **(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟)**؛ يعني: في تأثيره على أعمال الإنسان؛ يعني **(أُخْبِرُكُمْ)**؛ أُنبِئُكُم بشيء أخافه عليكم أكثر من المسيح الدجَّال؛ لأنَّ المسيح الدجَّال فِتنته لمَن في زمانه، وهذا الرياء الذي إذا دخَلَ القلب أبطَل العمل فِتنته في كل زمانٍ ومكان. هذا وجه كون النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خافه علينا أكثر من المسيح الدجَّال.

والوجه الثاني: أنَّ أي عبادةٍ يُتصوَّر الرياء فيها، أي عبادة، هذا دليل على أنَّه أمره عظيم.

(**قَالُوا: بَلَى**)؛ أنبئنا، خبِّرنا.

(**قَالَ**: «**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ**)؛ وسمَّاه «شِركًا خفيًّا» النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سمَّى الرياء «شِرْكًا خفِيًّا»؛ لماذا؟ لأنَّه لا يَظهَر.

لو أنَّ إنسانًا سجَدَ للصنم أو القبر أو الوثن؛ يظهَر شِرْكه للناس. ولَّا لا؟ يظهَر، كل واحد يعرف أنَّ هذا من عُبَّاد القبور، وهذا من عُبَّاد الأشجار، هذا من عُبَّاد الأصنام والأوثان.

لكن مُصلِّي يُصلِّي يُزيِّن صلاته للناس؛ مَن يعرف هذا الشيء؟ لا أحد؛ ولذلك سمَّاه بـ «الشِّرْك الخفِي».

ثم فسَّر: (**يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي**)؛ طبعًا هنا ذِكْر الصلاة من باب ذِكْر فردٍ من أفراد العبادة للتمثيل وليس للتخصيص. واضح يا عُمر؟ من باب ذِكْر فردٍ من أفراد العبادة للتمثِيل لا للتخصيص.

فيمكن أن يقول الإنسان: الشِّرْك الخفي؛ يقوم الرجُل يقرأ القرآن، يُجمِّل قراءته ليقول الناس: ما أحسن قراءته.

يقوم الرجُل فيدفع الصدقات لأجل أن يقول الناس: ما أكرمه!

يقوم الرجُل فيجلس ويُعلِّم الناس ليقول الناس: ما أجلدَه! ما أقواه! ونحو ذلك.

(**يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي**)؛ طبعًا كلمة (**الرَّجُلُ**)؛ ليس له مفهوم، والمعنى يدخُل فيه المرأة، أي: «تَقُوم المرأةُ فتُصلِّي فتُزَيِّن صلاتها».

لِمَا يَرَى من نَظَرِ امرأةٍ أو رجُلٍ آخر، وهذا فيه تنصيص على أنَّ الرياء ليس فيه صَرْف العبادة لغير الله؛ لكن فيه تجميل العبادة للناس.

طبعًا في فَرْق بين كون مَن يُجمِّل العبادة للناس لأجل دعوته، وتشجيعهم، ومَن يُجمِّل العبادة للناس لأجل أن تُصبح له السُّمعة والصِّيت.

مثال الأول: رجلٌ يقوم يتصدَّق يُبادِر حتى يقتدِي به الناس: هذا محمود وليس مذموم.

رجلٌ يقول للناس: أيُّها الناس، إنِّي ذاهبٌ إلى الحجِّ أو العُمرة؛ فمَن كان يريد أن يصحبنِي فَلْيصحبنِي. يريد تشجيعهم: هذا أمر مطلوب.

يقول: أيُّها الناس، إنِّي ذاهبٌ لإغاثة الملهُوفِين، مَن يأتِي معي فَلْيأتِ. ما في بأس، هذا محمود.

المذموم هو صَرْف العبادة لغير الله، وهو الشِّرْك؛ أو تزيين العبادة لغير الله.

نختم هذا الباب ببعض الفروقات بين الشِّرْك والرياء:

الفَرْق الأول:

- **الشِّرْك الأكبر**: مُحبِط لجميع الأعمال.
- **الرياء**: يُحبِط العمل المُصاحبَ له.

هذا الفَرْق يكفِيك بين الرياء وبين الشِّرْك الأكبر.

طيب... الرياء نوعٌ من أنواع الشِّرْك الأصغر؛ ما الفَرْق بينه وبين الأنواع الأخرى من الشِّرْك الأصغر؟

اكتب هذا الفَرْق: الشِّرْك الأصغر غير الرياء يُحبط العمل المُصاحِبَ له كليَّةً، والرياء يُحبط العمل المُصاحِبَ إذا كان شيئًا واحدًا؛ أمَّا إذا كان شيئًا بعد شيء فلا يبطُل منه إلَّا ما دخَلَه الرياء.

ما كتبْتَها؟

طالب: .....

؟؟؟ صح؟ أيوة، الله يعينك!

طالب: .....

الحين نقلة؛ عشان أشوف نقَلْتها صح ولَّا غلط؟ هذا يسمَّى «التصحيح»؛ قُل!

طالب: .....

هذا هو! يعني الرياء..... أضرب لك مثال: رجلٌ قام وصلَّى -لاحظ الآن-: الركعة الأُولَى صلَّاها لله على عدده.

الركعة الثانية: لله على عدده.

الركعة الثالثة: لله.

الركعة الرابعة: لله؛ بس جاء واحد وقف معه زيَّنها شويه، أطالها شويه.

فالآن ننظُر للأمر؛ دخَلَ الرياء في الركوع أو في السجود؟ فيكون الأجر الذي بَطَلَ منه الركوع أو السجود، ما سبَقَ مقبول.

طيب... إذا كان في التشهُّد انتبَهَ لنفسه وطرَدَ الرياء: لا يحبط التشهُّد. هذا مثال أوضح من هذا أيضًا.

لكن لو صام، قال: ترى أنا صام. بطَلَ الصوم كلُّه لأنَّه شيء واحد الصوم ما يتعدَّد، ما في ركعة ركعتين ثلاثة. واضح؟ ما في رُكن ركنين ثلاثة. واضح؟

طالب: .....

ما ينفع خلاص. انتهَى.

بخلاف قراءة القرآن؛ رجُل قرَأَ القرآن وهو قاعد يقرأ القرآن ويجمَّلَ صوته مع نفسه، دخَلَ واحد جمَّلها زيادة عشان يقول: والله صوته حلو. مو ليُخِشعه؛ لكن لو ليُخشِعه ما في بأس. «لو علِمْتُ أنَّك تسمعُنِي لحبَّرْتُ لك تحبِيرًا»، بعدين طلع رجع إلى عادته:

- **فما رَاءَى فيه**: باطل.
- **وما سبَقَ**: ليس بباطل.
- **وما لَحِقَ**: ليس بباطل.

رجلٌ تصدَّق بصدقةٍ، قال الحاكم: تصدقَّ. قام وتصدَّق عشرة دنانِير وبادَرَ عشان الناس يجون وراءه لله، فالناس بادرُوا، قال: ها، ما دام الناس بادروا خلِّ نتصدَّق مرة ثانية عشان سُمعتي ترتفع. قال بعد مائة دينار ثانية، الناس بادروا، بعدين راجَعَ نفسه قال: والله شو سوِّيت أنا؟ كانت الأُولى لله، الثانية ما صارَتْ لله؛ اتَّقِ الله عَزَّوَجَلَّ، تُبْ إلى الله. قال: بس، أتصدَّق لله. تصدَّق مائة ثانية لله:

- **فالأُولَى**: مقبولة.
- **والثانية**: مردودة.
- **والثالثة**: مقبولة.

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: **فِيهِ مَسَائِلُ**:

- **الْأُولَى**: تَفْسِيرُ آيَةِ «**الْكَهْفِ**».
- **الثَّانِيَةُ**: هَذَا الْأَمْرُ الْعَظِيمُ فِي رَدِّ الْعَمَلِ الصَّالِحِ إِذَا دَخَلَهُ شَيْءٌ لِغَيْرِ اللهِ.
- **الثَّالِثَةُ**: ذِكْرُ السَّبَبِ الْمُوجِبِ لِذَلِكَ، وَهُوَ كَمَالُ الْغِنَى.
- **الرَّابِعَةُ**: أَنَّ مِنَ الْأَسْبَابِ أَنَّهُ خَيْرُ الشُّرَكَاءِ.

الشرح:

ما معنى (**أَنَّهُ خَيْرُ الشُّرَكَاءِ**)؟ يعني: أنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خيرُ الشُّركاء؛ فلا يقبَل الشركة؛ بل يُعطِيه لمَن زُعِمَ أنَّه شريكًا له.

المتن:

- **الْخَامِسَةُ**: خَوْفُ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الرِّيَاءِ.
- **السَّادِسَةُ**: أَنَّهُ فَسَّرَ ذَلِكَ أَنَّ يُصَلِّي الْمَرْءُ لِلَّهِ؛ لَكِنْ يُزَيِّنُهَا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ.

الشرح:

وحده كافٍ لأجل التفريق؛ وإلَّا هناك فروقات أخرى بين الشِّرْك الأكبر والشِّرْك الأصغر.

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ [سورة هود، من الآية:١٥]. الْآيَتَيْنِ.

فِي «**الصَّحِيحِ**» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتُقِشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ**».

الشرح:

يعني: هذا الباب أورده تحت بعد «باب الرياء» من أنسَب ما يكون، كأنَّه يريد أن يقول لك: انتبه! فإنَّ ممَّا هو دائرٌ بين الرياء وبين الشِّرْك الأكبر عملٌ آخر، وهذا الباب من أشدِّ الأبواب على طُلَّاب العلم والعُبَّاد.

هذا الباب يتوسَّط الرياء ويتوسَّط الشِّرْك الأكبر، قد يكون من الرياء وقد يكون من الشِّرْك الأكبر.

(بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ)؛ أي:

- **إمَّا أصغر**: فيكون من جنس الرياء.
- **أو أكبر**: فيكون من جنس صَرْف العبادة لغير الله.

(مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا)؛ يتوسَّط الرياء والشِّرْك الأكبر، اللي هو: **(إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا)**.

وهنا يأتي سؤال: متى يكون إرادة الإنسان بعمله الدنيا رياءً، ومتى يكون شِركًا أكبر؟

إن صلَّى لله، وجعَلَ العمل، وزيَّنَ العمل، وقدَّمَ العمل التعبُّدي وسيلةً: كان من جنس الرياء.

وإن صلَّى وصام لأجل الوظيفة، لأجل أن يُقال عنه: مسلم: فهذا هو الشِّرْك الأكبر من أعمال المنافِقِين؛ يصلُّون حتى يدفعوا عن نفسهم النِّفاق، يتصدَّقُون ليدفعوا عن أنفُسهم النِّفاق.

فإذًا... هذا النوع **(إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا)**؛ قد يكون رياءً من جنس الشِّرْك الأصغر، وقد يكون نِفاقًا من جنس الشِّرْك الأكبر.

ما صورة المسألتين؟

الأُولَى: رجلٌ يُصلِّي من عادته أنَّه يُصلِّي؛ لكن زيَّنَ صلاته لكي يولُّوه الإمامة. لاحظ! زيَّن عبادته لكي يولُّوه الإمرة، يخلُّونه مدير، يرَقُّونه، هو في الأصل مُصلِّي؛ لكن صار يُحافظ على الجماعة لأجل تولِّي الإمرة، لأجل تولِّي المناصب: فهذا من جنس الرياء.

النوع الآخر: لا يُصلِّي أصلًا، ليس من عادته العبادة؛ لكن يُظهِر التعبُّد لأجل الحصول على الدنيا. شنو أشهَر شيء عندنا بالكويت يخلِّي الإنسان يتديَّن فترة معيَّنة؟

طالب: .....

المجالس الانتخابيَّة عمومًا.

رجُل يحافظ على صلاة الجماعة عشان ينخِّبُونه في الجمعية ولَّا في البلديَّة ولَّا في مجلس الأُمَّة، بعد ما ينجح عادَتْ حلِيمة لعادتها القديمة مثلًا. هذا انتبهوا الآن! أيش نُطبِّق عليه؟ الأول ولَّا الثاني؟

تنظُر إليه قبل هذا الفِعل؛ هل كان من عادته الصلاة والتكاسُل في الجماعة؟ فهذا يكون من جنس الرياء، اللي هو الأصغر.

هل كان من عادته أنَّه ما يصلِّي أصلًا إلَّا لأجل يُولَّى، فلمَّا وُلِّيَ أو لم يُولَّ تَرَكَ الصلاة أصلًا. فهذا من جنس أعمال المنافِقِين في الشِّرْك الأكبر.

يدخُل هذا أيضًا -انتبه- رجلٌ يدرُس كليَّة الشريعة، لماذا تدرُس في كلية الشريعة؟ قال: لأجل العلم، ويمكن أتوظَّف. فالآن هذا في نيَّته -لاحظ- أمران:

العلم: وهو مقصدٌ شرعيّ.

والوظيفة: وهو مقصد غير شرعِي. فهذا من جنس الرياء.

خطير جدًّا!

ورجُلٌ يدرُس في كليَّة الشريعة، ليش تدرُس؟ قال: أتوظَّف.

يعني الآن طلب العلم كلُّه ليس لله؛ هذا يدخُل من أعمال المنافِقِين، أمر خطير يا إخوة.

بخلاف مَن يدرُس الطب، إن شاء الله عنه ما نَوَى؛ لن يأثَم؛ ليش؟ لأنَّه عمل دنيوي.

إذًا... ما المقصود هنا (**بِعَمَلِهِ**)؟ أي: بعبادته. انتبه!

ها، أحمد! ما معنى (**مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا**)؟ ما يصير تقول حق واحد: أنت يا النجَّار إذا أنا موجود تُحسِن عملك، ماني موجود ما تُحسن عملك؛ هذا رياء؟

لا لا مو رياء، ما له شغل؛ هذا عمل دنيوي، معروف أهل الدنيا لن يعملوا لك جيدًا إلَّا إذا أنت واقف على رأسهم.

إنَّما المقصود (**بِعَمَلِهِ**)؛ هنا بمعنى: بعبادته. واضح؟ عشان ما نلخبط الأمور.

واحد جاء وقال لك: اسمع، تعطيني مائة دينار أطلِّع لك الشغلة ١٠٠٪، تُعطيني ٨٠ دينار ها! هذا مو رياء؛ هذا ولا يدخُل تحت هذا الباب أصلًا؛ ليش؟ عمل شنو؟

طالب: دنيوي.

دنيوي، هو قاعد يساومك؛ فما في أي إشكاليَّة أنَّ هذا الباب معقودٌ، مرادٌ به مَن يعمل بإرادته العبادة لأجل الدنيا. خطير!

طيب... أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت هذا الباب آيةً وحديثًا:

أمَّا الآية: واضحة وهي آية «سورة هُود» ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا﴾ [سورة هود، من الآية:١٥]؛ قال المصنِّف: (**الْآيَتَيْنِ**)؛ يعني: كمِّلهما إلى قوله: ﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة هود، من الآية:١٦].

إذًا... ﴿نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا﴾؛

﴿وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة هود، من الآيتين:١٥،١٦]؛ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾؛ يعني: بعبادته، بطاعته. واضح؟

فهذه الآية -اكتب- كقوله تعالى في «سورة الحج»: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ

﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَ﴾ [سورة الحج، من الآية:١١]؛ ما معنى ﴿عَلَىٰ حَرۡفٍ﴾؟ يعني: على طرف، يعبُد لأجل الدنيا:

فإن جاءَه الدنيا: أثبَت العبادة.

ما جاءته الدنيا: تَرَكَ العبادة.

هذه آية شبيهة بهذه؛ فانتبهوا لها!

﴿نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ﴾؛ وهذا فيه دلالة على عظيم عَدْل الله جَلَّ وَعَلَا، مَن عَمِلَ العبادة للدنيا: أعطاه الله ما عَمِل؛ لكن لن يجد ثوابًا عند الله.

ولذلك قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

ثم أورَدَ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أبي هريرة، وفيه: أنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: (**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ**)؛ سمَّاه أيش؟ (**عَبْد**)؛ دلَّ على أنَّ الرياء والشِّرْك الأصغر يجوز أن يُوصَف العبد بأنَّه «عبدٌ لغير الله»، ووقوع الشِّرْك الأصغر من الإنسان، ووقوع الرياء من الإنسان يُجوِّز من الناحية الشرعيَّة يجوِّز لنا الشارع أن نُضِيف عبوديَّته لغير الله؛ لأنَّه قال: (**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ**).

أيش معنى (**عَبْدُ الدِّينَارِ**)؟ لأنَّه لا يُصلِّي إلَّا لأجل الدنانِير، لا يتعلَّم العلم إلَّا لأجل الدنانِير.

ليش تدرُس؟ قال: عشان أصِير -مثلًا- قاضِي شرعِي. ترَى القضاء عبادة؛ القضاة اليوم غافلون عن هذا؛ لكن والله القضاء عبادة.

طالب: والوَلاية العامة؟

الولايات العامة عبادة، نعم، الآيات العامة عبادة؛ ولذلك أهل السُّنَّة ينصُّون على وجوب تنصِيب الولايات العامة، مثل: القضاء، والإفتاء، والإمرة والحُكم، ومَن يقضِي حاجات الناس، أن يكونوا على أمنهم، أن يكونوا على قضاياهم (النُّوَّاب)، وغيرهم.

(**تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ**). (**الْخَمِيصَةِ**)؛ اكتب: «ثوبٌ أسود أو أحمر فيه أعلام».

طالب: .....

أو أحمر.

طالب: .....

لا لا، مو مع بعض، يا إمَّا أسود خالص لكن فيه نقوش؛ أو أحمر خالص وفيه نقوش، العرب تُسمِّيه «خَمِيصةً».

وأمَّا (**الْخَمِيلَةِ**)؛ فهو ثوبٌ يكون من جنسٍ واحد ويُقال لها: «القطيفةُ» أيضًا، ثوبٌ من جنسٍ واحد، يعني: لا لون فيه إلَّا لونه، مثل: الدشداشة اللي لابسينها لون واحد اللي يسمَّى «خَميلة، قطيفة»؛ إذا كان ثوبًا طبعًا.

أمَّا إذا صُنِعَ فيُسمَّى باسم «الدِّشداشة، أو الثوب»، أو أيًّا كان.

هنا إضافة العبوديَّة إلى سببه ترى، ما معنى (**عَبْدُ الدِّينَارِ**)؟ إضافة العبوديَّة إلى سبب؛ أي بمعنى: لماذا صار عبدًا للدِّينار، عبدًا للدِّرهم، عبدًا للخمِيصة، عبدًا للخميلة؟ لأنَّ عباداته سببها هذه الأشياء، لولا هذه الأشياء ما وُجِدَتْ منه العبادات، وهذا على التفصيل الذي ذكرْناه:

- **إمَّا أن يكون رياءً**: فهو من جنس الشِّرْك الأصغر.
- **أو نِفاقًا**: فيكون من جنس الشِّرْك الأكبر.

(**إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ**)؛ هذه علامة أخرَى جميلة لمَن يريد بعمله الدنيا.

إمام مسجد يصلِّي بالناس، إذا أعطوه راتب صلَّى، ما أعطوه راتب قال: ما أصلِّي شيء. هذا معناه ترى (**إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ**).

قاضِي من قُضاة المسلمِين، إن أعطوه راتب قَضَى، ما أعطوه راتب أخَّرَ المعاملات، قال: ما في بَدَلات، ما أقضِي. يدخُل تحته. أمر خطير يا إخوة! (**إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ**).

ويدخُل تحت هذا المعنى الحديث اكتب: ما جاء في [**الصحيحين**]، وما جاء في [**صحيح البخاري**]: أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**..... وَذَكَرَ مِنْهُمْ: **وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا، إِنْ أَعْطَاهُ وَفَّى لَهُ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ لَمْ يَفِ لَهُ**»؛ معناته: حتى البيعَة عبادة. طاعة عبادة.

علشان صارَتْ الأمور الاقتصاديَّة زينة تحبُّه وتفِي له بوعدِكَ وبَيْعتك، وعلشان الأمور الاقتصادية صارَتْ شينة تقول: ما له بَيْعة. هذه داخلة في أعمال المنافقِين؛ فاحذروا راعاكم الله!

(**تَعِسَ وَانْتَكَسَ**). (**تَعِسَ**)؛ هذا بمعنى: دعاء، أي: أتعسه الله. (**تَعِسَ**)؛ بمعنى: أتعسه، أي: جعَلَه الله تعِيسًا.

(**وَانْتَكَسَ**)؛ أي: جعَلَه الله منتكِسًا لا يفهم ولا يفقه ما يريد، يُصبح ضائع ما تدري شنوا يبي؟

إذًا... (**تَعِسَ وَانْتَكَسَ**)؛ جُملةٌ خبريَّة بمعنى الطلب والدعاء من النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وقوله: (**وَإِذَا شِيكَ فَلَا اِنْتُقِشَ**)؛ أيضًا جُملةٌ خبريَّةٌ بمعنى الدعاء؛ أي: وإن أصابَه شَوكٌ فلا وفَّقه الله لإخراج الشَّوْك؛ هل يمكن يوجد ابتلاء أخفّ من الشَّوْكة؟ ما يوجد. أخفّ ابتلاء شَوْكة تدخُل فِيك. صح ولَّا لا؟

النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يدعُو عليه إنَّه حتى الشَّوْكة إذا أُصِيب بها لا وفَّقه الله لإخراجها؛ فكيف بما فوقها؟! من باب أَوْلَى أنَّه يستحقُّ الدعاء، هذا معناه (**وَإِذَا شِيكَ فَلَا اِنْتُقِشَ**).

إذًا... (**تَعِسَ وَانْتَكَسَ**)؛ خبريَّة بمعنى الدعاء والطلب.

(**وَإِذَا شِيكَ فَلَا اِنْتُقِشَ**)؛ خبريَّة بمعنى الدعاء والطلب.

(**طُوبَى**)؛ الآن انتقَلَ إلى عكس، انتقَلَ إلى عبد الله، الآن كان الحديث عن عبد الدِّينار والدِّرهم والمهندم –المهندم أيشلونه؟ اللي مهتمّ بشكله يعني، يجمِّل بيته وحاله؛ قلبه خلاص-؛ الآن انتقل للعكس، إلى عبدٍ قلبه عامرٍ؛ قال: (**طُوبَى**)؛ يعني: الجنة، وهو قِيل: موضعٌ عالٍ في الجنة، ومنه «شجرة طُوبَى».

ما الفَرْق بين شجرة الرِّضوان وشجرة طُوبَى في الجنة؟

شجرة الرضوان: أصله في أول درجةٍ من درجات الجنة، وأعلاه في أعلى درجات الجنة.

أمَّا طُوبَى: فنَبْته وأصله وفرعه وكلُّه في الدرجات العُلى من الجنة.

هذه فائدة من باب الفَرْق ذَكَرَه بعضهم.

(**طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ**). (**عِنَان**)؛ يعني: اللِّجام، (**آخِذٍ بِعِنَانِ**)؛ بلِجام (**فَرَسِهِ**).

(**فِي سَبِيلِ اللهِ**)؛ طبعًا هذا التمثيل يعني: التصوير لصُورةٍ مُفردةٍ من صُور المُخلصِين.

(**طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ**)؛ عكس المهندم، هذا (٤٩:١١). صح؟

(**أَشْعَثَ رَأْسُهُ**) أو (**أَشْعَثٌ رَأْسُهُ**)؛ يجوز.

(**مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ**) أو (**مُغْبَرَّةٌ قَدَمَاهُ**)؛ يجوز؛ يعني: حتى ما عليه (٤٩:٣٣) ولا عليه نِعال، حافي ماشي (**مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ**).

(إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ)؛ مو هامَّه

(وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ)؛ قالوا له: أنت خلِّك في سَوْق الناس، في آخر الناس تسُوقهم؛ أو في ساقة الناس تُطعمهم، اشتغل في المطبخ؛ هذا معناه ترَى.

(إِنْ اِسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ)؛ طيب ما يقول: حق الناس، يا جماعة، أنا عندِي خيل، وفي سبيل الله، وجاي الجهاد؛ ليس تسوُّون فيني كده؟ ليش؟

لأنَّه يرَى أنَّه سأل الله فلا يهُمُّه أين يُوضَع؟ سبحان الله! هذا قِمَّة الإخلاص.

طالب: .....

إي نعم... إي نعم، في الأمور التعبُّديَّة، كلامها كله في الأمور التعبُّديَّة.

يعني: أضرب مثال الآن: شخصٌ طالب علم -مثلًا- يطلُب العلم في كليَّة الشريعة تخصُّص شريعة الآن، كان المفروض يكون من أول شنو؟ كلَّه لله.

صح؟ لمَّا تخرَّج قالوا له: أنت أستاذ تربية إسلاميَّة. قال: الحمد لله.

بعدين شالوه حطُّوه قاضي؛ قال: الحمد لله.

بعدين شالوه وحطُّوه -مثلًا- نائب؛ قال: الحمد لله.

وين ما يحطُّونه يقول: الحمد لله. ما يتذمَّر. هذه علامة القِمَّة في الإخلاص؛ فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزُقنا وإيَّاكم الإخلاص!

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: **فِيهِ مَسَائِلُ:**

- **الْأُولَى**: إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ.
- **الثَّانِيَةُ**: تَفْسِيرُ آيَةِ «**هُودٍ**».
- **الثَّالِثَةُ**: تَسْمِيَةُ الْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ «عَبْدَ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْخَمِيصَةِ».

الشرح:

هذا الرجُل في الظاهر الإسلام، ولا يجوز الحُكم عليه بغير الإسلام؛ لماذا؟ لأنَّه يعمل أعمال أهل الإسلام، بغض النظر كونه مُرائيًا، أو كونه منافقًا.

المتن:

- **الرَّابِعَةُ**: تَفْسِيرُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ.
- **الْخَامِسَةُ**: قَوْلُهُ: «**تَعِسَ، وَانْتَكَسَ**».
- **السَّادِسَةُ**: قَوْلُهُ: «**وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ**».

الشرح:

يعني: افهَم هاتَيْن الجُملتَيْن الخبريَّتَيْن بأنَّهما بمعنى الدعاء. هذه هي الفائدة.

المتن:

- **السَّابِعَةُ**: الثَّنَاءُ عَلَى الْمُجَاهِدِ الْمَوْصُوفِ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ.

الشرح:

الثناء عليه لأنَّ له طُوبَى.

- **وطُوبَى في الدنيا معناه**: الحياة الطيِّبة.

- **وفي الآخرة**: الجنة.
- **وفي الجنَّة**: موضعٌ مخصوص.

نُعيدها مرة ثانية:

- **طُوبَى في الدنيا**: الحياة الطيِّبة.
- **وفي الآخرة**: الجنة.
- **وفي الجنة**: موضعٍ عالٍ مخصوص.

طالب: .....

نعم، معناه: أنَّ هذا الرجُل يكون من أطيَب الناس نفسًا، لا يعرف التذمُّر ولا التضجُّر؛ هذا معنى (**طُوبَى**).

وفِعلًا الإنسان الذي يرضَى بقضاء الله، والله لن يجِدَ أحدٌ أطيَبَ نفسًا منه.

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بَابُ

مَنْ أَطَاعَ اَلْعُلَمَاءَ وَالْأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اَللهُ أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللهُ فَقَدْ اِتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ

وَقَالَ اِبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ اَلسَّمَاءِ؛ أَقُولُ لَكُمْ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ!

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا اَلْإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ، يَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ، وَاَللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [سورة النور، من الآية:٦٣]. اَلْآيَة؛ أَتَدْرِي مَا اَلْفِتْنَةُ؟ اَلْفِتْنَةُ اَلشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ اَلزَّيْغِ فَيَهْلِكَ.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: أَنَّهُ سَمِعَ اَلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ هَذِهِ اَلْآيَةَ ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة، من الآية:٣١]. اَلْآيَة، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ. قَالَ: «**أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اَللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اَللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟**» فَقُلْتُ: بَلَى. قَالَ: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُم**». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَاَلتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ.

الشرح:

يعني: أورَدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد الباب السابق بابٌ مهمٌّ جدًّا (**بَابُ مَنْ أَطَاعَ اَلْعُلَمَاءَ وَالْأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اَللهُ أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللهُ فَقَدْ اِتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ**)؛ وهذا فيه بيان ناقضٍ آخر من نواقض الإيمان؛ ما هو نواقض الإيمان؟

سبَقَ ذَكَرَ من نواقض الإيمان:

من نواقض التوحيد: دعاء غير الله.

من نواقض التوحيد: اتِّخاذ الشُّفعاء عند الله.

من نواقض التوحيد: سبَقَ أيضًا معنا: الرياء؛ وهو إمَّا من نواقضه أو من نواقصه بحسب.

ومن نواقضه أو نواقصه: إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

ومن نواقض التوحيد: طاعة العلماء والأُمراء في التحريم والتحليل؛ **(مَنْ أَطَاعَ اَلْعُلَمَاءَ وَالْأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اَللهُ)**.

نقول: إنَّ من التوحيد المتعلِّق بالربوبيَّة: أن تعتقد أنَّ الذي يُحلِّل ويُحرِّم مَن؟ مَن يا قحطاني؟

طالب: .....

الله.

الذي يُحلِّل ويُحرِّم هو الله، هذا من أيش؟ من متعلَّقات توحيد الربوبيَّة؛ تعتقد أنَّ الذي يُحلِّل ويُحرِّم هو الله؛ ليش؟ لأنَّه المَلِك، لأنَّه المالِك، والمالِك والمَلِكُ هو الذي يملِكُ في مُلْكه وفي مِلكيَّته الحِلَّ والحُرُم.

أنت الآن عندك نوع ملكيَّة (مزرعة)؛ تسمَح لواحد ثاني يجي يتدخَّل ليش بابك من هنا؟ ليش مزرعتك كده؟ ما تسمح. (١٥:٥٧) يا أخي، مزرعتي وأنا كيفي أسوِّي فيه اللي أبيه.

إذًا... انتبه! المُلْكُ مُلْكُ الله، والسلطان سُلطانه؛ إذًا الحلُّ والتحريم أَمْره ونَهْيُه، لا يجوز.

السيد أيضًا، من أسماء الله «السيِّد، الصمد».

(مَنْ أَطَاعَ اَلْعُلَمَاءَ وَالْأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اَللهُ أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللهُ فَقَدْ اِتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا)؛ تسميَّتهم بـ «الأرباب» من أي وجه؟ لأنَّ الربَّ ما قال: «فقد

اتَّخَذَهم إلهًا»؛ لأنَّ الشِّرْك هنا مو في الألوهيَّة؛ الشِّرْك هنا في الربوبيَّة، (**اِتَّخَذُهُمْ أَرْبَابًا**)؛ لأنَّ الذي يُحلِّل ويُحرِّم هو الربُّ وليس أحدٌ غيره يملِكُ التحليل والتحريم. هذه قضية لا بد أن تكون مُسطَّرة على وجهٍ يقينيٍّ في قلوبنا.

طيب... إذا جاء إنسان واعتقَدَ أنَّ العالِم له أن يُحلِّل ويُحرِّم كيفما يشاء، والأمير له أن يُحلِّل ويُحرِّم كيفما يشاء؛ فقد اتَّخَذَ العالِم أو الأمير ربًّا. هذا وجهه. فهِمْنا لماذا؟

طيب... انتبه الآن! **متى يكون طاعة العلماء والأُمراء شِرْكًا في الربوبيَّة، ومتى يكون شِرْكًا في الألوهيَّة؟** انتبه لهذا السؤال!

الجواب:

- **في التحليل والتحريم**: شِرْكٌ في الربوبيَّة.
- **في التعبُّد لله بهذا التحليل والتحريم**: شركٌ في الألوهيَّة.

انتبَهْتَ يا أحمد؟

يعني: إذا اعتقد بس مجرَّد اعتقاد أنَّ العالِم والأمير له أن يُحلِّل ويُحرِّم: وقَعَ منه شِرْك الربوبيَّة.

ثم إن تعبَّد الله بذلك: وقَعَ في شِرْك الألوهيَّة؛ لماذا؟ لأنَّه سيتعبَّد الله بما لم يسعه الله، سيتعبَّد إلى الله بالشِّركيَّات والبِدعيَّات.

وهنا ننتبه إلى قضية مهمة! لماذا اليهود خرجوا من دِين موسى؟ الناس على قِسمين ترَى في اليهوديَّة والنصرانيَّة؛ لماذا النصارَى عن دِين عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟

بعض الناس يظُنُّ أنَّ اليهوديَّة هو دِين موسى، وأنَّ النَّصرانيَّة هو دِين عيسى، وهذا ضلالٌ مبين؛ فما كان إبراهيم ولا موسى ولا عيسى يهوديًّا ولا نَصرانيًّا؛ ولكن كانوا حُنفاء مسلمِين.

في المقابل أُناسٌ يظنُّون أنَّ سبب ضلال اليهوديَّة الذنوب والمعاصِي، سبب ضلال النصرانية الذنوب والمعاصِي، كقول الخوارج ومَن وافَقَهم.

إذًا... ما هو العقيدة الصحيحة؟

اليهود والنصارَى سببُ خروجهم هو تحريم وتحليل التابِع للعلماء والأُمراء، ثم التعبُّد لله بذلك.

فلاحظ الآن! وقَعَ منهم تغيير وتبدِيل للشَّرْع المُنزَّل، ثم وقَعَ منهم تعبُّد الله بالشَّرْع المُبدَّل. فهِمْتَ؟ يعني:

أولًا: أعطوا العالِم وأعطوا الأمير صلاحية التحليل والتحريم، ثم عبدوا الله بتلك المُبدَّلات عَبَدوا الله جَلَّ وَعَلَا؛ فوَقَعوا في نوعَيْن من الشِّرْك:

- الربوبيَّة.
- والألوهيَّة.

لذلك لمَّا أنت يجي شخص يقول لك: الحُكم بغير ما أنزل الله كُفَّار كاليهوديَّة والنَّصرانيَّة.

قُل له: صح كلامك؛ لكن هل أهل الإسلام وقَعَ منهم الفِعل كاليهوديَّة والنصرانيَّة؟ يعني: هل تجد مسلم يقول لك: نحن نتعبَّد الله عَزَّوَجَلَّ بقول العالِم الفلاني المُخالِف للشَّرْع؟ مستحيل.

يعني أضرب لكم مثال الحين: في بعض القوانين في بعض الدُّول مُخالِفة للشريعة. صح ولَّا لا؟ موجودة ولَّا ما هي موجودة؟ ما يمكن إنكارها.

لكن هل رأينا قاضيًا ممَّن يحكمون بهذه القضايا من قُضاة المسلمِين؟

هل رأينا قاضيًا يتعبَّد الله بهذا القانون الوضعِي؟

ما رأينا. إذًا لم يقع منهم شِرْك في الألوهيَّة.

طيب نسألهم الآن سؤالًا: هذا التغيير والتبديل الذي أنتم فعلتموه هل تنسبونه إلى الله؟ قالوا: لا، لا ننسِبه إلى الله؛ إنَّما هذا اجتهادُنا.

إذًا لاحظوا الآن! لم يقع منهم نِسبة التحريم والتحليل إلى الله؛ إنَّما ظنُّ أنَّ هذا هو دِين الله؛ لذلك ما وقَعَ منهم إعطاء العالِم حقَّ التحليل والتحريم. كيف يعني إعطاء العالِم حقَّ التحليل والتحريم؟

يعني مثلًا: اليهود يقولون: حقُّ التحليل والتحريم ما في كتاب «المِشنا»؛ ما نأخُذ في الإنجيل.

النصارَى يقولون: حقُّ التحليل والتحريم ما في «مَجْمَع الكنائس الكونيَّة المِسكونيَّة الأُولَى» التي عُقِدَتْ سنة ٣٢١ وما بعدها من المجامِع المِسكونيَّة،

فما رأَوْه حلالًا حلال، ما رأَوْه حرامًا حرام، ونَسَبوا هذا الحلال والحرام لله عَزَّوَجَلَّ.

لاحظ الآن! غيَّروا الدِّين ونَسَبوه إلى الله، ثم تعبَّدوا الله بهذا الزُّور، نجِدُ القوانين الوَضْعيَّة لا ينسبونها إلى الله أبدًا، وهذه من الفروقات بين القوانين الوَضْعيَّة التي عَمِلَ بها بعض المسلمِين وبين اليهوديَّة والنصرانيَّة.

ولذلك نقول: أنَّ الذي يعمل بالقوانين الوَضْعيَّة يقع في المعاصِي، حاله كحال السَّارق؛ السارق حينما يسرِق هل عَمِلَ بالقانون الإلهي وهو تحريم السرقة؟ ما عَمِلَ.

هل يعتقد أنَّ السرقة حلال؟ ما يعتقد؛ يعتقد أنَّ السرقة حرام؛ فهو عاصٍ.

الذي ذهَبَ من المسلمِين إلى بلاد الكُفَّار فشَرِبَ الخمر؛ هل عَمِلَ بالشَّرْع المُنزَّل؟ أبدًا ما عَمِلَ.

هل يعتقد أنَّ الخمرَ حلال؟ لا؛ يقول: حرام.

إذًا... ما وقَعَ منه التحليل والتحريم؛ فحاله كحال العاصِي.

فنفس الكلام فيما لو وَضَعَ الناس قانونًا أو نظامًا، ولم ينسبُوه إلى الله؛ بل قالوا: دِين الله:

قَطْع يد السارق.

رَجْم الزَّاني المُحصَن.

جَلْد الزاني غير المُحْصَن.

ثمانين جَلْدة لشارب الخمر.

ثمانين جَلْدة للقَذْف.

هذا دِين الله.

طيب... ما دام هذا دِين الله لماذا لم تعملوا به؟ قالوا: هوًى، ظُلمًا، فِسقًا؛ حالهم كحال أي عاصِي. انتبه! لا يلبِّس عليك الناس.

إذًا... طاعة العلماء والأمراء متى يكون شِركًا في الربوبيَّة؟

إذا اعتقدتَ أنَّ لهم صلاحيَّة لذلك؛ هذه هي القضية مربط الفرس.

ثم يزداد هذا الشِّرْك إذا عبدْتَ الله، وهذا ما ينطبقُ انطباقًا قريبًا وليس كليًّا مع مَن؟ هذا ينطبقُ انطباقًا قريبًا.....

طالب: .....

أحسنتَ!

في حال أهل البِدَع مع علمائهم، يُطيعُون علماءهم.

علماؤهم يقولون: الطواف بالقبور ليس شِرْك. قالوا: ليس شِرْك. ما ينظرن ماذا قال الله؟ ماذا قال الرسول؟

هذه ماذا قلنا؟ قريب وليس انطباقًا تامًّا؛ لأنَّهم هُم في قرارة أنفُسهم لا يعتقدُون أنَّ العالِم له حقُّ التحليل والتحريم.

بخلاف النصراني واليهودي؛ فإنَّه يعتقد أنَّ البابا له الحقُّ في أن يُحرِّم ما شاء ويُحِلُّ ما شاء.

ولذلك أنتم ترَوْن أو سمِعتُم أنَّ المجامِع المِسكونيَّة من أول مَجْمَع مِسكَوْني ٣٢١ ميلاديَّة على آخر مجمَّع مِسكَوْني سنة ١٩٥٢ تقريبًا كل المجامِع المِسكَونيَّة السابقة تقول: ويدُ اليهود ملطَّخةٌ بصَلْب المسيح. وهُم يعتقدون هذا، ويلعنون اليهود صباحًا ومساءً؛ لأنَّه بزَعْم النصارَى هُم اللي أيش؟ صَلَبوا إلههم.

فجأة جاء البابا غيَّر هذا القانون «ويد اليهود بريئةٌ من صَلْب النصارَى»؛ ما أحد اعترَضَ عليه؛ ليش ما اعترضوا عليه؟ لأنَّهم أعطُوه صلاحية التحليل وقُدسيَّة التحليل والتحريم. هذه هي القضية.

أورد المصنِّف تحت هذا الباب أثرَيْن سلفيَّيْن:

- **أحدهما**: عن الصحابي ابن عباس.
- **والثاني**: عن الإمام أحمد.
- وحديثًا واحدًا مُفسِّرًا للآية.

قول ابن عباس: (**يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ اَلسَّمَاءِ؛ أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ!**)؛ يعني: خطورة ردُّ قول الله وثول الرسول لأجل قول فلان وفلان. هذا وجه مناسبته.

فإذا كان الإنسان على خطرٍ عظيم، ومُتوعَّدٍ بوعيدٍ شديد إذا ردَّ قول الله والرسول لقول أبي بكرٍ وعُمر؛ فكيف بمَن دونهم؟ هذا وجه المناسبة.

وأمَّا كلام الإمام أحمد كلامٌ واضح؛ يقول: (**عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا اَلْإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ، يَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ**). (رَأْي)؛ هنا يعني: اجتهاد.

وَاَللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [سورة النور، من الآية:٦٣]. ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾؛ الضمير في ﴿أَمْرِهِۦٓ﴾؛ راجع إلى أمر مَن؟ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ باتِّفاق المُفسِّرين.

﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: في مخالفتهم أمر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذًا... مخالفة أمر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سببٌ.....

طالب: .....

لا؛ سببٌ لكون الإنسان مُوعَّدًا بالوعيد الشديد؛ ليش سبب لكون الإنسان موعَّدًا بالوعيد الشديد؟ لأنَّه سببٌ من أسباب وقوع الإنسان في الشِّرْك، أنت ما تعرف الشِّرْك إلَّا من طريق النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإذا لم تتَّبعه فكيف ستعرف الشِّرْك؟ ستظُنُّ التوحيد شِرْكًا والشِّرك توحيد كما هو الحاصل مع أهل البِدَع.

قال الإمام أحمد: (**أَتَدْرِي مَا اَلْفِتْنَةُ؟ اَلْفِتْنَةُ اَلشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ اَلزَّيْغِ فَيَهْلِكَ**). (يَهْلِكَ)؛ من (هَلَكَ، يَهلِك). سبحان الله!

ثم أورد حديث عدِيّ بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان عديٌّ من الذين تنصَّروا في الجاهليَّة، وكان يعتبر من كِبارهم، ومن علمائهم، عدِيّ بن حاتم الطَّائي.

يقول: (**سَمِعَ اَلنَّبِيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقْرَأُ هَذِهِ اَلْآيَةَ**)؛ أي: من «سورة التوبة».

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟﴾؛ واو الجماعة راجع إلى اليهود والنصارَى.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ﴾؛ يعني: علماءَهم، **الأحبار**: جمع حَبْر، وهو العالِم، كلمة الأحبار: حَبْر عربيَّة ترَى ليست أعجميَّة كما ظنَّ البعض.

﴿وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾؛ وهُم العُبَّاد، **والراهب**: العابد الخائف.

﴿أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة، من الآية:٣١]؛ سَمِعَ هذه الآية، وعدِي بن حاتم عربي فصيح، وعده عِلم بالنَّصرانيَّة.

قال: (**فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ**)؛ فَهِمَ من قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ﴾؛ العبادة؛ يعني: عَبَدوا أحبارهم ورُهبانهم، وجعلُوهم أربابًا من دون الله.

قال: ما عَبَدناهم (**إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ**)؛ فأيشلون هذه الآية؟

ما معنى (**لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ**)؟ يعني بمعنى: لا نركع لهُم، لا نسجُد لهم، لا نصوم لهُم، لا نطُوف بهم؛ هذا معناه؟

(**قَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اَللهُ**)؛ يعني: أنتم الحين ما عندكم عقيدة كانت قبل أن تُسلِم أنَّ العالِم له أن يُحلِّل ويُحرِّم؟

(**«أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اَللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اَللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟» فَقُلْتُ: بَلَى**)؛ هذا موجود، هو ما يقدر ينكر هذا لأنَّ مجامِع المِسكونيَّة كانت تجتمع في كل سنة مائة سنة، في كل قرن أو في كل قرنَيْن تجتمع للقول في الأمور المُحدَثةِ أو الماضية أو المستقبليَّة حِلًّا وتحريمًا.

(قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُم»). (عِبَادَتُهُم)؛ من هذه الجهة، جهة إعطاء صلاحية التحليل والتحريم للأحبار والرُّهبان، ثم عبادة الله بهذا التحليل والتحريم؛ هذه هي العبادة.

(رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ).

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الْأُولَى**: تَفْسِيرُ آيَةِ «النُّورِ».

الشرح:

وهي: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور، من الآية:٦٣].

المتن:

- **الثَّانِيَةُ**: تَفْسِيرُ آيَةِ «بَرَاءَةٌ».
- **الثَّالِثَةُ**: التَّنْبِيهُ عَلَى مَعْنَى الْعِبَادَةِ الَّتِي أَنْكَرَهَا عَدِيٌّ.
- **الرَّابِعَةُ**: تَمْثِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وَتَمْثِيلُ أَحْمَدَ بِسُفْيَانَ.

الشرح:

سُفيان بن سعيد الثَّوْري، من كبار أئمة الفقه في الكُوفة، وكان قريبًا من زمن الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المتن:

- **اَلْخَامِسَةُ**: تَغَيُّرُ الْأَحْوَالِ إِلَى هَذِهِ اَلْغَايَةِ، حَتَّى صَارَ عِنْدَ اَلْأَكْثَرِ عُبَادَةُ اَلرَّهْبَانِيَّةِ أَفْضَلُ اَلْأَعْمَالِ، وَتُسَمَّى «الْوِلَايَةُ»، وَعِبَادَةُ اَلْأَحْبَارِ هِيَ اَلْعِلْمُ وَالْفِقْهُ، ثُمَّ تَغَيَّرَتْ الْحَالُ إِلَى أَنْ عُبِدَ مَنْ لَيْسَ مِنَ اَلصَّالِحِينَ، وَعُبِدَ بِالْمَعْنَى اَلثَّانِيَ مَنْ هُوَ مِنَ اَلْجَاهِلِينَ.

الشرح:

لا إله إلَّا الله! والله الأمر يتدنَّى... يتدنَّى شيئًا فشيئًا، لا تعرف لعلَّه أن يأتي وقتٌ يعبُد الناس الحمِير. ورب الكعبة.

يقول: (**تَغَيُّرُ الْأَحْوَالِ إِلَى هَذِهِ اَلْغَايَةِ**)؛ أن يُعبَد العالِم، والحَبْر، والأمير.

يقول: (**حَتَّى صَارَ عِنْدَ اَلْأَكْثَرِ عُبَادَةُ اَلرُّهْبَانِ هِيَ أَفْضَلُ اَلْأَعْمَالِ**)؛ تسجُد للراهب؛ هذا أفضل عمل تسوِّيه.

(**وَتُسَمَّى «الْوِلَايَةُ»**)؛ حب شيخ الطريقة يكفِيك، وأنا سمِعتُ هذا بأُذُني، قال: أنت تحبُّ الشيخ؛ الشيخ يودِّيك الجنَّة. والله هذا تمامًا كالذي عند اليهود والنصارَى.

(**وَعِبَادَةُ اَلْأَحْبَارِ هِيَ اَلْعِلْمُ وَالْفِقْهُ**)؛ كونك تنزِّل رأسك حق شيخك، تركع له، تسجُد له؛ هذا هو العلم عندهم، هذه عبادة، أنت مؤدَّب؛ ما فعلت أنت ما عندك أدب.

(**ثُمَّ تَغَيَّرَتْ الْحَالُ**)؛ عن هذه الصورة الضالَّة إلى ما هو أضلّ.

(إِلَى أَنْ عُبِدَ مَنْ لَيْسَ مِنَ اَلصَّالِحِينَ)؛ هُم يشهدُون أنَّ فلان كان لا يُصلِّي جُمعة ولا جماعة؛ طيب أيشلون تطوفون بقبره؟! أيشلون؟!

أنَّ فلان كان يأتي البهائم؛ طيب كيف أنتُم تظنُّون فيه الوِلاية؟! لا إله إلَّا الله!

(وَعُبِدَ بِالْمَعْنَى اَلثَّانِيَ مَنْ هُوَ مِنَ اَلْجَاهِلِينَ). (بِالْمَعْنَى اَلثَّانِيَ)؛ يعني: العلماء (عبادة العلماء)، عُبِدَ مَن هو من الجاهلِين، يَلبَس العِمَّة فينتسِب إلى العلم؛ فيُركَع له ويُسجَد. لا حول ولا قوة إلَّا بالله!

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء، الآية:٦١]. الْآيَاتِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية:١١].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [سورة الأعراف، من الآية:٥٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [سورة المائدة، من الآية:٥٠]. الْآيَةَ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**». قَالَ النَّوَوِيُّ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَّيْنَاهُ فِي كِتَابِ [**الْحُجَّةِ**] بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ. عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ، وَقَالَ: الْمُنَافِقُ نَتَحَاكَمُ إِلَى الْيَهُودِ. لَعَلِمَهُ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ؛ فَاتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [سورة النساء، من الآية:٦٦٦]. الْآيَةَ.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اِخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَ الْآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ. ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا الْقِصَّةَ فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ.

الشرح:

هذا الباب أورده المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى لبيان أنَّ من نواقض التوحيد: التحاكُم إلى الطواغِيت، وعدم الرضا بحُكم الله عَزَّوَجَلَّ، وهذه المسألة راجعة إلى القلب، وهو الرضا أو عدم الرضا:

- **فالرضا بحُكم الله وشَرْعه**: توحيد.
- **وعدم الرضا بحُكم الله وشَرْعه**: كُفرٌ.

وينبني على هذا الرضا القلبي عمل، وهذا العمل هو: التحاكُم إلى الشَّرْع، أو التحاكُم إلى غير الشَّرْع.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾. ﴿ٱلَّذِينَ﴾؛ الاسم الموصول باتِّفاق المُفسِّرين راجعة إلى رجُلٍ من المنافِقين؛ علشان لا تفهمها غلط، والمنافقون في الجُملة يزعمون الإيمان بالمُنزَّل؛ لكن أفعالهم تُخالِف ما يُظهِرونه من بواطنهم؛ ولذلك قال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾؛ والطاغُوت هنا يصحُّ أن يُفسَّر على قول جابر: كُهَّانٌ كانت العرب تتحاكَمُ إليهم.

ويصحُّ أن يُفسَّر الطاغُوت هنا: بكلِّ معبودٍ غير الله. ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء، الآية:٦١].

إذًا... المقصود من هذا الباب: بيان أنَّ من نواقض التوحيد هو: الرضا بحُكم الطاغُوت، والتحاكُم إليهم.

طيب... إذا قال المسلم: أنا أعيش في بلاد الكُفَّار، أنا مضطرٌّ أن يتحاكَم إلى القانون الوَضْعِي الكافر، إذا ما تحاكَمَ راح حقِّي.

نقول له: لا، تحاكَم لكن قلبُك مطمئنٌّ بالإيمان، ويجب أن يكون قلبُك مليئًا ببُغضِ التحاكُم إلى غير شَرْع الله عَزَّوَجَلَّ.

لكن إذا كان التحاكُم إلى غير الشَّرْع يُرجِع بعض الحقّ؛ فلا بأس بذلك، مع ملء القلب من حبِّ الشَّرْع والتحاكُم إليه.

أورَدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت هذا الباب الذي عنونهُ بالآية، أورَدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ثلاث آياتٍ، وأورَدَ فيه حديثَيْن:

الآية الأُولَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية:١١]؛ **ووجه الشاهد من الآية**: أنَّ التحاكُم إلى الطواغِيت إفسادٌ في الأرض، وإن زَعَمَ صاحبه أنَّه مُصلِح، وأنَّ هذا من علامات المنافقِين.

«آية الأعراف»: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [سورة الأعراف، من الآية:٥٦]؛ إصلاح الأرض بالشَّرْع، وإفساده بالعمل بغير الشَّرْع أو التحاكُم إلى غير الشَّرْع.

أمَّا «آية المائدة»؛ ففيها الاستفهام الإنكاري على المنافقِين: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [سورة المائدة، من الآية:٥٠]؛ ها! استفهام أيش؟ إنكاري ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾؛ كلُّ حُكمٍ يُصادِم شَرْع الله فهو حُكمٌ جاهليٌّ، وإن زعَمَ أصحابُها:

- أنَّ هذا الحُكم عقلانيٌّ.
- أو أنَّ هذا الحُكم عِلمانيٌّ.
- أو أنَّ هذا الحُكم ديموقراطيٌّ أو وطنيٌّ.

يسمُّونه ما يسمُّونه؛ فكلُّ حُكمٍ مُخالِفٍ للشَّرْع فهو من حُكم الجاهليَّة.

ثم أورد حديثَيْن:

الأُولَى: حديث (**عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»**)؛ هذا الحديث صحَّحه النووي كما قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وأخرجه أبو الفَتْح المقدسي في كتاب [**الحُجَّة**]؛ فيَلزَم أن يكون صحيحًا عنده؛ لماذا؟ لأنَّه اشترَطَ أنَّه لا يُخرِّج في كتابه [**الحُجَّة**] إلَّا ما كان صحيحًا.

إذًا... أبو الفتح المقدسِي في كتابه [**الحُجَّة على تارِك المَحَجَّة**]؛ فهذان إمامان من أئمة الإسلام صحَّحا الحديث (النووي، ومن قبله أبو الفتح المقدسي).

وممَّن صحَّح الحديث: الحافظ بن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى، وضعَّفه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

وتضعيف الحديث بقولهم: إنَّ المتن فيه شذوذ. لا يصحّ؛ ليش؟ لأنَّ معنى (**حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**)؛ يعني: يكون هوى القلب الرضا بالشَّرْع.

إذًا... أين المُخالَفة؟ ما يوجد مُخالَفة.

لكن قول بعض الناس: طيب. ما يمكن أنَّ هواه يكون موافق لكلِّ الشَّرْع!

نقول: هذا ما قَصَدَه الشارع، ولا هذا مراده من هذا اللفظ. إذًا. ما مراده من هذا اللفظ؟

مراده: أن (**يَكُونَ هَوَاهُ**)؛ أي: حبُّه ورضاه (**تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**)؛ للشَّرْع.

فإن هو سَخِطَ الشَّرْع: اتَّبَع هواه، وهو معنى «أفرأيْتَ مَن اتَّبَعَ هواه»؛ إذًا... الآية موافِقة للحديث، والحديث موافِقٌ للآية.

ثم أورد قول (**الشَّعْبِيُّ**)؛ عامر بن شراحِيل الشَّعبِي.

وقول الشَّعبِي مُرسَل؛ لكن انتبه -من باب الفائدة-: «المراسِيل في أسباب النزول مقبولة بشرط ألَّا يُخالِفَ موصولًا صحيحًا». حفِظْتَ هذه القاعدة؟ وهنا هذا المرسُول أو هذا المُرسَل الذي جاء عن الشَّعْبِي من طريقَيْن لا يُخالِفه موصولٌ صحيح؛ إذًا يجوز الاستشهاد به كما فعَلَه السلف والخلف.

فإن قال قائل: اليهودِي قال: (**نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ بحُكم أنَّه أيش؟ حاكم البلد، حاكم المدينة، (**عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ**).

المنافق قال: (**نَتَحَاكَمُ إِلَى الْيَهُودِ. لَعَلِمَهُ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ؛ فَاتَّفَقَا**)؛ قال: لا هذا ولا هذا.

(**اتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ**)؛ وهذا هو الطاغوت.

فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [سورة النساء، من الآية:٦٦].

إذًا... الذي لا يرضَى بحُكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكون داخلًا تحت هذه الآية الدَّالَّة على ناقض من نواقض الإيمان.

(**وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اِخْتَصَمَا**)؛ هما هو نفسه، ما في تخالُف بين القصَّتَيْن.

(**فَقَالَ أَحَدُهُمَا**)؛ لعلَّه اليهودِي.

(**نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. **وَقَالَ الْآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ**)؛ وهو المنافق.

(**ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ**)؛ الظاهر أنَّ الجُهَنِي لمَّا حَكَمَ ما رَضِيَا؛ فقالًا: إذًا نتحاكَم إلى عُمَر.

(**فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا الْقِصَّةَ فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَكَذَلِكَ؟**)؛ يعني: هكذا كانت الواقعة؟ أنت ما رضَيْتَ أن تذهبوا إلى رسول الله؟ الكلام على شنو؟

على الرضا، على عمل القلب (**لَمْ يَرْضَ**).

(**أَكَذَلِكَ؟**)؛ يعني: ما رَضِيتَ؟! فيُكرِّر.

(**قَالَ: نَعَمْ. فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ**).

قد يقول قائل: كيف يقتُل عُمَر بدون الرجوع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

فالجواب: أنَّ عُمَر من الوُلاة المأذون لهُم بالحُكم والقضاء والفُتيا في زمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا قال أو فَعَلَ شيئًا مُخالِفًا أنبأه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: **فِيهِ مَسَائِلُ:**

- **الْأُولَى**: تَفْسِيرُ آيَةِ «**النِّسَاءِ**» وَمَا فِيهَا مِنَ الْإِعَانَةِ عَلَى فَهْمِ الطَّاغُوتِ.

الشرح:

الطاغوت هو: كاهن يتحاكَم إليه.

المتن:

- **الثَّانِيَةُ**: تَفْسِيرُ آيَةِ «**الْبَقَرَةِ**» ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١١]. الْآيَة
- **الثَّالِثَةُ**: تَفْسِيرُ آيَةِ «**الْأَعْرَافِ**» ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [سورة الأعراف، من الآية:٥٦].
- **الرَّابِعَةُ**: تَفْسِيرُ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [سورة المائدة، من الآية:٥٠].
- **الْخَامِسَةُ**: مَا قَالَهُ الشَّعْبِيُّ فِي سَبَبِ نُزُولِ الْآيَةِ الْأُولَى.
- **السَّادِسَةُ**: تَفْسِيرُ الْإِيمَانِ الصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ.
- **السَّابِعَةُ**: قِصَّةُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ الْمُنَافِقِ.
- **الثَّامِنَةُ**: كَوْنُ الْإِيمَانِ لَا يَحْصُلُ لِأَحَدٍ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشرح:

معنى (**هَوَاهُ**)؛ يعني: جُملة رِضاه مع الشَّرْع.

نكتفِي بهذا القَدْر.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزُقنا وإيَّاكم العلم النافع والعمل الصالح.

اللي عنده سؤال يتفضَّل!